The problem of knowledge between determinism and indeterminism (Pierre Laplace as a Model)

Dr. Ibrahim Razzouk[*]
Mahmoud Hassan[**]

(Received 12 / 12 / 2022. Accepted 19 / 2 / 2023)

□ ABSTRACT □

There are many epistemological concepts that divide the world of knowledge into two contradictory knowledge doctrines , So that the world of knowledge is governed by the law of dualism that governs the entire universe , Every being in the world of existence has an existential opposite , There are many contradictory existential dualities in the world of existence , such as: existence and nothingness, end and infinity, light and darkness, order and chaos , evolution and inertia, affirmation and negation, Likewise, there are many contradictory epistemological binaries in the world of knowledge, among them: objectivity and subjectivity, meaning and non-meaning , absolute and relative, determinism and indeterminism , and The epistemological relationship between the concepts of determinism and indeterminism represented one of the most important problems in knowledge , Where the philosophers of science divided into two parts ، Someone believes that the principle of determinism is the prevailing epistemological principle in the world of knowledge , And that all scientific facts in the world of knowledge are governed by the principle of improvement , The French astronomer, mathematician, and philosopher of science: Pierre Laplace is one of the most prominent founders of the doctrine of determinism , While the other section believes that the principle of indeterminism is the dominant epistemological principle in the world of knowledge , And that all cognitive processes, epistemological theories and scientific phenomena are governed by the principle of indeterminism , Accordingly, a dialectical relationship emerged between the concepts of determinism and indeterminism, Where a section of the philosophers of science considered that knowledge is inevitable in its essence, All knowledge is formed according to determinism, regular laws , The presence of certain scientific conditions within the world of knowledge will inevitably lead to the emergence of certain scientific results , And every field of knowledge has its own scientific laws that are not suitable for other scientific and cognitive fields ، While the other section of the philosophers of science considered that knowledge is not deterministic in its essence ، Where they decide that knowledge proceeds indeterminism , knowledge is formed irregularly and laws of knowledge are formed according to different conditions ، The same cognitive conditions produce different cognitive results ، Based on that, knowledge develops in an indeterminism way, and according to various scientific variables, it directly contributes to creating a knowledge environment of knowledge that is not bound by certain determinism conditions , Rather, it creates constantly renewed cognitive conditions that fit its own cognitive structure, Within this epistemological context, both deterministic epistemology and indeterministic theory contributed to the development of the field of epistemology through a set of epistemological principles formulated by philosophers of science in all fields of knowledge and science .

Keywords : theory of knowledge, determinism, teleology, indeterminism .

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*]**professor , Dept. of philosophy , faculty of arts humanities , Tishreen university , Lattakia , Syria .**
[**]**PHD student, Dept. of philosophy , faculty of arts humanities , Tishreen university , Lattakia , Syria**

إشكالية المعرفة بين الحتمية واللاحتمية
(بيير لابلاس أنموذجاً)

د. إبراهيم رزوق*

محمود حسن**

(تاريخ الإيداع 12 / 12 / 2022. قبل للنشر في 19 / 2 / 2023)

□ ملخّص □

تعددت المفاهيم الإبستمولوجية التي قسّمت عالم المعرفة إلى مذهبين معرفيين متناقضين ، بحيث أصبح عالم المعرفة محكوم بقانون الثنائية الذي يحكم الكون بأسره ، فلكل موجود في عالم الوجود نقيضه الوجودي ، فتتعدد الثنائيات الوجودية المتناقضة في عالم الوجود مثل : الوجود والعدم ، النهاية واللانهاية ، الضوء والظلام ، النظام والفوضى ، التطور والجمود ، الإثبات والنفي ، وكذلك تتعدد الثنائيات المعرفية المتناقضة في عالم المعرفة ، ومن بينها : الموضوعية والذاتية ، المعنى واللامعنى ، المطلق والنسبي ، الحتمية واللاحتمية ، ومثّلت العلاقة الإبستمولوجية القائمة بين مفهومي الحتمية واللاحتمية : أحد أهم الإشكاليات في المعرفة ، حيث انقسم فلاسفة العلم إلى قسمين ، أحدهما يعتقد بأن مبدأ الحتمية هو المبدأ الإبستمولوجي السائد في عالم المعرفة ، وبأنّ جميع الوقائع العلمية في عالم المعرفة محكومة بمبدأ الحتمية، ويعدّ عالم الفلك والرياضيات وفيلسوف العلم الفرنسي : بيير لابلاس من أبرز مؤسسي مذهب الحتمية ، بينما يعتقد القسم الآخر بأن مبدأ اللاحتمية هو المبدأ الإبستمولوجي السائد في عالم المعرفة ، وبأنّ كل العمليات المعرفية والنظريات الإبستمولوجية والظواهر العلمية محكومة بمبدأ اللاحتمية ، ونشأت وفقاً لذلك علاقة جدلية بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، حيث اعتبر قسم من فلاسفة العلم بأن المعرفة حتمية بجوهرها ، وإن جميع المعارف تتكون وفق قوانين منتظمة حتمية ، فوجود شروط علمية معينة ضمن عالم المعرفة سيؤدي بشكل حتمي لظهور نتائج علمية معينة ، وإنّ لكل حقل معرفي قوانينه العلمية الخاصة به التي لا تصلح لباقي الحقول العلمية والمعرفية، بينما اعتبر القسم الآخر من فلاسفة العلم بأنّ المعرفة لاحتمية في الأصل ، حيث يقرّرون بأن المعارف تسير بشكل لاحتمي ، فالمعارف تتكون بشكل غير منتظم وتتشكل قوانين المعارف وفق شروط مختلفة ، وإن ذات الشروط المعرفية ينتج عنها نتائج معرفية مختلفة ، وبناءاً على ذلك تتطور المعارف بشكل لاحتمي ، ووفق متغيرات علمية متنوعة تساهم بشكل مباشر في خلق بيئة معرفية من المعارف التي لا تتقيد بشروط حتمية معينة ، بل تخلق شروطاً معرفية متجددة باستمرار بحيث تناسب البنية المعرفية الخاصة بها ، وضمن هذا السياق المعرفي ساهمت كل من نظرية المعرفة الحتمية والنظرية اللاحتمية في تطوير ميدان الإبستمولوجيا عبر مجموعة من المبادئ المعرفية التي تمّت صياغتها من قبل فلاسفة العلم في جميع الحقول المعرفية والعلمية المتنوعة .

الكلمات المفتاحية : نظرية المعرفة ، الحتمية ، الغائية ، اللاحتمية .

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية .**

** **طالب دراسات عليا (دكتوراه) ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية .**

مقدمة:

حققت المعرفة عبر تاريخ الإنسانية الهدف الجوهري من الوجود البشري ، حيث أكدت المعرفة على أن الخاصيّة الأساسية للإنسان هي العقل الباحث عن المعرفة ، وإن هذه الخاصيّة العقلية هي التي يتميّز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الموجودة في هذا الكون الواسع ، وهذه الخاصيّة هي التي تساعد الإنسان على تفعيل البصمة المعرفية الفكرية للوجود الإنساني العقلي ، وهذا ما تمَّ تأكيده من خلال الاكتشافات المعرفية المتعاقبة للعلماء والفلاسفة عبر تاريخ المعرفة الحافل بالإنجازات المعرفية .

لم يقتصر الدور المعرفي للذات الإنسانية العاقلة على تطوير الواقع الموضوعي المادي المحيط بالإنسان ، والعمل على بناءه بما يحقق بناء الحضارة وتطويرها عبر الاختراعات العلمية التي ساهمت في خدمة الإنسان عبر العصور المتعاقبة المختلفة ، بل تجسّد الدور المعرفي للذات الإنسانية العاقلة أيضاً في تطوير المعرفة ذاتها ، وذلك عبر اكتشاف المبادئ الإبستمولوجية وبناء النظريات المعرفية والمذاهب الإبستمولوجية التي ساهمت في تطوير الميدان المعرفي بشكل مستمر ، ومن أهم هذه المذاهب الإبستمولوجية : المذهب الحتمي في المعرفة ، والذي يقرر بأن عملية تشكُّل وتكون المعارف عبر التاريخ المعرفي هي عملية تتم وفق أسس ومبادئ حتمية ، بحيث تعمل هذه الأسس والمبادئ الحتمية على بناء النظريات العلمية والمعرفية ضمن شروط معرفية خاصة ، بحيث إن تغيّر هذه الشروط المعرفية يؤدي إلى تغيّر تكوين المعارف وفق المبادئ الحتمية ، ويعدّ عالم الفلك والرياضيات والفيزياء وفيلسوف العلم الفرنسي بيير لابلاس : من أبرز روّاد المذهب الحتمي في المعرفة .

بينما المذهب الثاني في المعرفة فهو المذهب اللاحتمي ، والذي يقرّر بأنه توجد شروط لا حتمية تسير وفقها عملية تكوّن المعارف بحيث تعمل هذه الشروط اللاحتمية على خلق عوامل معرفية تساهم في عملية البناء المعرفي للنظريات الإبستمولوجية ، وضمن هذا السياق تتشكل المعارف وتتطور وفق قانون اللاحتمية الذي يبين بأن: المعرفة متغيرة دائماً، حيث لا يوجد قانون معرفي حتمي مطلق وثابت يحكم عملية التطور المعرفي ، وبذلك تسير المعرفة وفق مبدأ اللاحتمية حسب خط سير معرفي غير منتظم .

وبالتالي شكّل كلاً من المذهبين الحتمي واللاحتمي في المعرفة ، أحد أهم المذاهب الإبستمولوجية التي طوّرت عملية البناء المعرفي ، والتي ساهمت في التأكيد على أهمية البحث المعرفي في تطوير المعرفة ، وذلك عبر المبادئ الإبستمولوجية التي يتم استنتاجها دائماً في عمليات البحث العلمي والمعرفي عن الحقائق ، وهذا بدوره ساهم في تطوير ميدان البحث الإبستمولوجي عن المعارف ، كما وساهم في اكتشاف العديد من المفاهيم المعرفية والمبادئ الإبستمولوجية التي كان لها دوراً معرفياً فاعلاً في تطوير المعارف بشتى أنواعها ، بما يؤكّد على أهمية الخاصيّة العقلية التي تميّز الذات الإنسانية العاقة عن غيرها من باقي الموجودات الأخرى في هذا العالم المتعدد ، وهكذا نشأت علاقة جدلية بين الذات الإنسانية العاقلة والتي تسعى دائماً لاكتشاف الحقائق ، وبين العالم الموضوعي الخارجي المليء بالحقائق الموضوعية التي لم تصل الذات العاقلة لاكتشافها حتى هذه اللحظة .

وضمن هذا السياق اختلفت النظرة العلمية التي فسّرت الوجود المعرفي عبر تعاقب الأزمنة ، وقد أسهم ذلك في تعزيز مركزية الوجود العقلي للإنسان باعتباره محور تكوّن المعرفة وتطورها ، وبالتالي تكتسب المعرفة سمتها الأزلية انطلاقاً من السمة الأزلية للعقل الإنساني الذي يشكّل المنبع السرمدي للمعرفة والذي يفيض باستمرار بالمعارف ونظرياتها العلمية وبمبادئها الإبستمولوجية المتعددة .

أهمية البحث وأهدافه :

تضمنت فلسفة العلم العديد من المذاهب المعرفية التي بحثت في أصل المعرفة ، وآلية بناءها ، وكيفية تطورها عبر المراحل المعرفية المختلفة ، وكان من بين أهم هذه المذاهب المعرفية : المذهب الحتمي في المعرفة ، والمذهب اللاحتمي في المعرفة ، حيث تضمن كل مذهب من هذه المذاهب الإبستمولوجية العديد من المبادئ والمفاهيم المعرفية التي ساهمت في زيادة المحتوى المعرفي لفلسفة العلم ، ومن بين هذه المبادئ الإبستمولوجية : مبدأي الحتمية واللاحتمية .

وانطلاقاً من ذلك اكتسب كلاً من مفهومي الحتمية واللاحتمية مكانة هامة ضمن ميدان البحث العلمي والمعرفي ، حيث نتج عن ذلك امتلاك كلاً من مفهومي الحتمية واللاحتمية أبعاداً إبستمولوجية ذات قيمة معرفية واضحة ، بحيث أسهمت هذه المبادئ الإبستمولوجية في تطوير المعرفة بشكل عام ، حيث أثّرت على ميدان البحث المعرفي بشكل ايجابي واضح ، بما ساهم في زيادة الحصيلة المعرفية ضمن ميدان الإبستمولوجيا ، وذلك من خلال بناء العديد من النظريات المعرفية التي تمّ تشكيلها بناءاً على الاختلاف المعرفي القائم في وجهات النظر المتنوعة ضمن الحقول المعرفية .

ومن هذا المنطلق تكمن أهمية البحث في **إشكالية المعرفة بين الحتمية واللاحتمية (بيير لابلاس أنموذجاً)** ، وذلك بهدف دراسة الإشكالية المعرفية التي تكونت بسبب التناقض المعرفي الواضح بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، ومن أجل تحليل مفهومي الحتمية واللاحتمية تحليلاً إبستمولوجياً عاماً ، بما يسهم في توضيح الأبعاد الإبستمولوجية لهذه الإشكالية المعرفية ، وبهدف تحليل مفهومي الحتمية واللاحتمية تحليلاً إبستمولوجياً خاصاً ، بما يسهم في تحديد الأهداف الإبستمولوجية لهذين المفهومين المعرفيين ، وذلك يهدف إلى توضيح الدور الإبستمولوجي لمفهومي الحتمية واللاحتمية ضمن ميدان البحث المعرفي والعلمي ، بما يقدّم دراسة مقارنة وتوضيحية لمفهوم الحتمية عند بيير لابلاس ومبادئه الإبستمولوجية الحتمية الخاصة ، وذلك يفسّر الاختلاف المعرفي القائم بين مذهب الحتمية عند بيير لابلاس ومذهب اللاحتمية .

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الإشكالية المعرفية القائمة بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، من أجل كشف الأسباب القائمة خلف هذه الإشكالية ، وذلك بهدف القيام بدراسة إبستمولوجية عامة وشاملة لهذه الإشكالية المعرفية بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، من أجل معرفة النتائج العلمية المترتبة على هذا التناقض المعرفي القائم بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، ومقارنة هذه النتائج ، وقياس مدى أهميتها ضمن ميدان البحث العلمي والفلسفي ، وذلك بهدف تقييم كلاً من المذهب الحتمي والمذهب اللاحتمي في المعرفة ، من أجل توضيح أثر كلاً من هذين المذهبين على تطور المعرفة ، ومن أجل توضيح الدور الإبستمولوجي لكل منهما ، ومعرفة القيمة المعرفية لكل من مفهومي الحتمية واللاحتمية ، وهذا بدوره يساهم في تطوير ميدان البحث الإبستمولوجي ، بما يوضّح القيمة المعرفية للمفاهيم والمبادئ الإبستمولوجية ضمن ميدان المعرفة العام وميدان المعرفة الخاص .

منهجية البحث :

اقتضى البحث في موضوع (**إشكالية المعرفة بين الحتمية واللاحتمية (بيير لابلاس أنموذجاً)**) استخدام المنهج النقدي التحليلي ، وذلك لتقديم دراسة نقدية وتحليلية شاملة لمفهومي الحتمية واللاحتمية بشكل عام ضمن نظرية

المعرفة، وبشكل خاص ضمن فلسفة العلم ، وذلك في سياق تحديد ومعرفة الأثر الإبستمولوجي لمفهومي الحتمية واللاحتمية في نظرية المعرفة ، وبهدف تحليل مفهومي الحتمية واللاحتمية ضمن هذه الإشكالية المعرفية لمعرفة الأبعاد الإبستمولوجية للإشكالية المعرفية القائمة بين المذهب الحتمي والمذهب اللاحتمي في المعرفة ، بما يساهم في دراسة المضمون الإبستمولوجي لمفهومي الحتمية واللاحتمية في فلسفة العلم ، وهذا بدوره يوضّح أهمية مفهومي الحتمية واللاحتمية ضمن البناء الإبستمولوجي العام لنظرية المعرفة العلمية والفلسفية .

الإطار النظري :

أولاً : المفهوم الإبستمولوجي للحتمية عند بيير لابلاس

برزت الحتمية كأحد أهم المفاهيم الإبستمولوجية التي لعبت دوراً حيوياً في تفسير العديد من الظواهر المعرفية التي تسير بشكل حتمي نحو نتائج معرفية محددة، وذلك بحسب قوانين معرفية منتظمة وشروط علمية محددة ضمن ميدان المعرفة والعلوم، وضمن هذا السياق المعرفي تمت صياغة المذهب الحتمي في المعرفة، حيث شكّلت الحتمية: الركيزة المعرفية الأساسية ضمن هذا المذهب، وبالاستناد على ذلك يتبين بأنَّ : (الحتمية بالمعنى المجرّد هي أنّ يكون للحوادث نظاماً معقولاً تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقاً بغيره ، حتى إذا عرف ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر أمكن التنبؤ به)[1] .

وتمّ استخدام مصطلح الحتمية في العديد من المجالات المعرفية والعلمية ، وذلك بهدف الكشف المعرفي عن الروابط السببية بين العناصر المعرفية ضمن العلوم المتعددة ، من أجل فهم آلية تكّون المعرفة، واكتشاف منهج صياغة القوانين المعرفية التي تفسّر الإشكاليات المعرفية المدروسة ، وضمن هذا السياق يبرز المفهوم الفلسفي للحتمية والذي يعتبر من أهم المفاهيم الفلسفية التي فسّرت النظام الحتمي الذي يسير العالم وفقه ، وذلك من وجهة نظر فلسفية ، حيث يتبيّن بأنَّ : (الحتمية بالمعنى الفلسفي مذهب من يرى أنّ جميع حوادث العالم ، وبخاصة أفعال الإنسان ، مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً ، فإذا كانت الأشياء على حالة ما في لحظة معينة من الزمن ، لم يكن لها في اللحظات السابقة، أو اللاحقة ، إلاّ حالة واحدة تلائم حالتها في تلك اللحظة المعينة ، وأصحاب هذا المذهب يرون أنّ لهذا العالم نظاماً كلياً دائماً لا يشذّ عنه في الزمان والمكان شيء ، وإنّ كل شيء فيه ضروري)[2] .

ويعدّ عالم الرياضيات والفلك والفيزياء وفيلسوف العلم الفرنسي بيير لابلاس من أبرز ممثليّ مذهب الحتمية ، حيث قرّر في فلسفته العلمية بأن الكون بأكمله قائم على قانون الحتمية ، وإنّ التطبيق العلمي لقانون الحتمية يساعدنا على التنبؤ العلمي بالمستقبل ، ففي العلم مسلّمة علمية تقتضي بأنَّ جميع القوانين العلمية هي قوانين حتمية مطلقة ، ومن خلال التطبيق العلمي لهذه القوانين الحتمية يستطيع العلماء التنبؤ بالمستقبل وذلك بالاعتماد على الماضي والحاضر ، والتنبؤ العلمي بحسب بيير لابلاس هو القاعدة الأساسية في التطور العلمي ، لذلك يجب أن تعتمد كل الأبحاث العلمية على قانون الحتمية من أجل أنّ يواكب العلم مسيرة تطوره ، حيث يشكّل قانون الحتمية مبدأ علمي ثابت ومطلق ويتم من خلال مبدأ الحتمية صياغة نظام حتمي من المعارف العلمية المتطورة بحسب الوقائع العلمية القائمة في الحقول العلمية، حيث إنَّ عملية التطور العلمي للمعارف القائمة تتخذ مساراً ثابتاً بحسب قانون الحتمية ، وبالتالي يخضع

---

[1] _ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ص 443 .

[2] _ المرجع السابق نفسه ، ص 444 .

الكون لنظام الحتمية الصارم وقوانينه الأزلية ، وضمن هذا السياق العلمي يصبح قانون الحتمية أداة علمية رئيسية للكشف والتقدم العلمي ، واستناداً إلى ذلك يُخضِع مبدأ الحتمية الكون لنظام رياضي دقيق وشامل ، بحيث يتم التحكم من خلاله بجميع الظواهر العلمية المدروسة وذلك وفقاً لخاصية التنبؤ العلمي التي يتضمنها قانون الحتمية ، وهذا بدوره يسهم بشكل فعّال في بناء النظريات العلمية ضمن الأوساط العلمية المختلفة مثل العلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك والهندسة وبقية العلوم الأخرى ، ويقرر لابلاس من خلال فلسفته الحتمية بأنه : يمكن معرفة جميع القوانين التي يسير الكون وفقها والتي تتحكم بجميع الظواهر العلمية القائمة ، وضمن هذا السياق المعرفي يؤكد بيير لابلاس في كتابه (مقال فلسفي عن الاحتمالات) بأن الكون بأسره يخضع لنظام حتمي ثابت ومطلق وذلك بقوله : (إنَّ جميع الحوادث ، حتى تلك التي تبدو لصغرها مستعصية على القوانين الطبيعية العامة ، هي نتيجة ضرورية لهذه القوانين مثلها في ذلك مثل حركات الشمس ، غير أن جهلنا للروابط التي تشدها إلى النظام الكوني العام ، قد جعلنا نعزوها إلى أسباب غائية أو إلى الصدفة ، حسب ما تكون تلك الحوادث متتابعة بانتظام ، أو جارية بدون نظام ظاهري ولقد أدى نمو معارفنا إلى استبعاد هذه الأسباب الخيالية تدريجياً ، وهي تختفي الآن كلياً أمام الفلسفة الصحيحة التي لا ترى فيها إلاّ تعبيراً عن جهل ، نحن المسؤولون الحقيقيون عنه ، وإن الحوادث الراهنة لها مع الحوادث الماضية رابطة مؤسسة على المبدأ الواضح التالي ، وهو أنه لا شيء يبدأ في الوقوع دون سبب ، وإن هذه البديهية المعروفة بمبدأ السبب الكافي أي (الحتمية) ، ينسحب مفعولها حتى على الأفعال التي نعتبرها أفعالاً إرادية حرة ، والواقع أن أكثر الإرادات حرية لا يمكن أن تخلق هذه الأفعال إلاّ إذا كان هناك حافز محدد)[3] .

ولذلك سميت حتمية بيير لابلاس بالحتمية الكونية حيث أعلن لابلاس في فلسفته العلمية حول الحتمية بأن الظواهر الطبيعية الموجودة في الكون والتي تخضع لقانون الحتمية المطلق تخضع أيضاً لمجموعة من الشروط الحتمية التي تجعلها تسير وفق منطق رياضي حتمي ثابت نحو نتائج معينة ، بحيث إن وجود هذه الظواهر الطبيعية في الكون يخضعها للعوامل الحتمية التي تحدّد عملية الانتظام الكوني الحتمي وذلك وفق عامل الزمان الحتمي وعامل المكان الحتمي اللذين يعتبران بمثابة المنظّم الأساسي لآلية عمل قانون الحتمية الكونية وذلك وفق الأسس الحتمية والرياضية التي يتضمنها كلاً من عاملي الزمان والمكان ، وهذا يدّل على أن عالم الطبيعة هو عالم مترابط بشكل حتمي من خلال ظواهره الطبيعية التي ترتبط مع بعضها البعض بروابط حتمية مباشرة ولذلك فإنّ : (اطراد الطبيعة يعني اتصال الحوادث واستمرارها في الزمن ، وانتظام وقوعها بحيث إن ما كان سيكون ، وهذه المسلمة هي مصدر ما يسمى بمبدأ أو مشكلة الاستقراء في المنهج العلمي ، بل هو أساس الاستدلال العلمي على وجه العموم)[4] .

ويوضّح بيير لابلاس في مذهبه الحتمي بأنَّ ترابط الظواهر الطبيعية في العالم وفق مبدأ الحتمية المطلق يدّل على الوحدة الكلية للكون كوجود مترابط وفق العلاقة الحتمية الكامنة بين الأسباب والنتائج ، فكل ظاهرة طبيعية أو علمية تخضع لمجموعة من الأسباب الحتمية المنطقية عند تشكّلها ، وتنتج عنها مجموعة من النتائج الحتمية والضرورية ، وذلك وفق العلاقة المنطقية الكامنة بين الأسباب والنتائج والتي يخضع لها الكون بكامله ، وبذلك يتحدد المعنى الإبستمولوجي العام لمفهوم الحتمية بأنها عبارة عن منهج علمي منطقي يتم من خلاله اكتشاف العلاقات الحتمية

3 _ LAPLACE , PIERRE : A PHILOSOPHICAL ESSAY PROBABYLNTIVES , TRANSLATED FROM THE SIXTH FRENCH EDITION BY FREDERICK WILSON TRUSCOTT, AND FREDERICK LINCOLN EMORY , STANFORD UNIVERSITY , LIBRARIES REFORMATTING SECTION , LONDON , 1993 , p : 3 .

4_ قنصوه ، صلاح : فلسفة العلم ، مكتبة الأسرة ، (د، م) ، 2002 ، ص 157 .

الكامنة في الظواهر العلمية ، وذلك وفق قواعد الحتمية المطلقة ، وبالتالي تعرّف الحتمية كمصطلح بأنها : (مبحث خاص يدور حول البنية السببية للعالم ، فهي أطروحة تؤكد على أن هذه البنية السببية ، من القوة بحيث يمكنها أن تعطي وصفاً كاملاً عن الحالة الكلية للعالم ، في لحظة معينة من الزمن ، وعندئذ وبمساعدة القوانين ، يمكن حساب أي حادث سواء أكان في الماضي أو المستقبل)[5] .

ويقرّر بيير لابلاس في نظريته المعرفية حول مبدأ الحتمية بأنّ المعرفة العلمية تكتسب صفتها المنطقية بسبب خضوعها المنطقي لمعيار الحتمية ، وهذا بدوره يسهم في اكتشاف القوانين الرياضية المطلقة التي تنظّم حركة الكون الكلية ، وضمن هذا السياق المعرفي يوضّح بيير لابلاس بأن الأزمنة تترابط مع بعضها البعض ترابطاً حتمياً بدءاً من الماضي ومروراً بالحاضر ووصولاً لمستقبل ، بحيث تنعكس صورة الماضي بشكل منطقي على الحاضر ، كما تنعكس صورة الحاضر بشكل واضح على المستقبل ، وبالتالي يؤكد بيير لابلاس في كتابه (مقال فلسفي عن الاحتمالات) بأنّ : (يجب أنّ ننظر إذن إلى الحالة الراهنة للكون كنتيجة لحالته السابقة وكسبب لحالته اللاحقة ، فلو أن عقلاً يمكنه أن يعرف في لحظة من اللحظات ، جميع القوى التي تحرك الطبيعة ، وكل الأوضاع المتتالية التي تتخذها فيها الكائنات التي تتألف منها _ أي الطبيعة _ ، ولو أن هذا العقل نفسه هو من الاتساع والشمول بحيث يمكنه أن يخضع هذه المعطيات للتحليل ، فإنه سيكون قادراً على أن يضمّ في عبارة رياضية واحدة حركات أكبر الأجسام في الكون وحركات أصغر وأدق الذرات ، فلا شيء يكون بالنسبة إلى هذا العقل موضوع شك ، إن الماضي والمستقبل سيكونان كلاهما حاضرين أمام عينيه ، والفكر البشري يمكنه بالنظر إلى التقدم الذي حصل عليه في ميدان الفلك ، أن يمدنا بصورة تخطيطية باهتة عن هذا العقل ، وإنّ الاكتشافات التي توصل إليها الفكر البشري في الميكانيك والهندسة ، بالإضافة إلى تلك التي قام بها في ميدان الجاذبية الكونية ، قد مكنته أن يضمّن نفس العبارات التحليلية الرياضية : أحوال نظام الكون ، الماضية منها والمقبلة ، وبتطبيق نفس المنهج على بعض الموضوعات الأخرى التي تدخل في مجال معرفته ، قد توصل إلى ارجاع الظواهر الملاحظة إلى قوانين عامة ، وإلى توقع الظواهر التي ستنجم حتماً عن الظروف القائمة ، ولا شك أن جميع هذه المجهودات التي يبذلها الفكر البشري في البحث عن الحقيقة ستجعله يقترب شيئاً فشيئاً ، وباستمرار ، من هذا العقل الذي تخيلناه ، والذي سيظل دوماً ، مع ذلك ، بعيد المنال) [6] .

امتلك مفهوم الحتمية عند بيير لابلاس بُعداً وجودياً حيث اعتبر لابلاس بأن الوجود بأكمله قائم على قانون الحتمية المطلق ، وباعتبار أن الإنسان يشكّل كذات عاقلة ومفكّرة : محور هذا الوجود ، فإن مفهوم الحتمية قد اكتسب طابعاً إنسانياً ، حيث تخضع وفقاً لذلك جميع الظواهر الإنسانية والإجتماعية لقانون الحتمية المطلق ، فكل ظاهرة إنسانية لها وجود محتوم في الماضي يعود لمجموعة من الشروط الحتمية التي أدت إلى نشوئها واستمرارها إلى الحاضر ، وإن هذه الشروط الحتمية هي التي ستكفل استمرار هذه الظاهرة الإنسانية إلى المستقبل ، وبذلك يصبح الإنسان أحد أهم المحاور الوجودية وذلك باعتباره يمتلك جميع الأدوات المعرفية التي تساعده على فهم وتحليل الشروط الحتمية التي تنشأ من خلالها الظواهر الوجودية في الكون ، وعند هذه النقطة تبرز قيمة العقل الإنساني باعتباره الميّزة الفريدة التي يختص

---

[5] _ كارناب ، رودولف : الأسس الفلسفية للفيزياء ، ترجمة : د. السيد نفادي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، 2003، ص (247-248) .

6 _ LAPLACE , PIERRE : A PHILOSOPHICAL ESSAY PROBABYLNTIVES , TRANSLATED FROM THE SIXTH FRENCH EDITION BY FREDERICK WILSON TRUSCOTT, AND FREDERICK LINCOLN EMORY , STANFORD UNIVERSITY LIBRARIES REFORMATTING SECTION , LONDON ,1993 ,p : 4 .

بها الإنسان والتي تميّزه عن سائر الموجودات في هذا الكون ، وإن ما يميّز العقل الإنساني هو قدرته الفائقة على فهم القوانين وتطبيقاتها العملية في الوجود المعرفي بشكل عام على جميع الظواهر العلمية والمعرفية الكامنة في شتى أنواع الحقول العلمية ، ومن هذا المنطلق يتبين بأنّه : (أصبحت الحتمية الفلسفية عبارة عن تعليق على فكرة الشمولية عن فكرة الكل الواضح للغاية) [7].

وضمن هذا السياق المعرفي يتبين بأنّ مفهوم الحتمية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الضرورة ، حيث يشكّل مفهوم الضرورة أحد أهم المبادئ المعرفية والعلمية التي يرتكز عليها المذهب الحتمي ، ويشير قانون الضرورة إلى أن الكون بجميع مستوياته المعرفية والوجودية محكوم بمجموعة من الروابط الضرورية الثابتة، ومقيّد بنظام معرفي ووجودي يشمل القوانين المطلقة التي تحكم العلاقات بين الظواهر الوجودية والمعرفية، ويتضمن بجميع أبعاده المعرفية والوجودية منطق إبستمولوجي يحدّد الشروط المطلقة والضرورية التي تربط بين الأسباب والنتائج ضمن عالمي المعرفة والوجود، وبالتالي (إنَّ الضرورة في القوانين الطبيعية، ليست سوى قوانين ضرورية ضرورة منطقية)[8] .

وضمن هذا الإطار المعرفي يتبين بأنّ قانون الضرورة هو قانون عقلي بحت لأنه يعتمد على مجموعة من المبادئ المنطقية التي تحكم العلاقات القائمة بين الظواهر المعرفية والأحداث في عالم الوجود ، ومن هذا المنطلق يعتبر العقل الإنساني بأنه الأداة المنطقية التي تختص بها الذات الإنسانية العاقلة والتي تمتلك جميع المناهج المعرفية التي تستطيع من خلالها اكتشاف العلاقات الضرورية القائمة بين الأسباب والنتائج التي ترتبط بها ارتباطاً ضرورياً ، وبالتالي : (من هذا المنطلق يرتبط مفهوم العقلانية من الناحية الإبستمولوجية بفرض وجود الحقيقة المطلقة وطريقة البحث عليها، إذ يتسع ويتمدد في نطاق مساحة الالتزام بالمقاييس الصائبة في البحث الفلسفي عن الحقيقة أينما يكون افتراض هذه الحقيقة، ومن الواضح أن رحابة مفهوم العقلانية بهذا المنظور، أصبحت نمطاً للتفكير تتبناه حتى المذاهب الفلسفية المتخاصمة إبستمولوجياً)[9]، وبذلك يتم التأكيد على القدرة الفائقة التي يمتلكها العقل الإنساني المفكّر والواعي ، والذي يستطيع من خلال المَلكات المعرفية التي يتميّز بها من تحليل الظواهر المعرفية والوجودية، واستنتاج الأسباب الضرورية لهذه الحوادث، ومعرفة القوانين الضرورية والثابتة التي تتحكم بهذه الظواهر المعرفية والأحداث الوجودية .

ويتبين بذلك أن قانون الضرورة هو أحد أهم القوانين المرتبطة بمبدأ الحتمية ، حيث يرتكز مبدأ الحتمية الكونية على مفهوم الضرورة المنطقية وهي : (الضرورة التي يقتضيها مبدأ عدم التناقض)[10] ، وإن الضرورة المنطقية هي ضرورة عقلية ، لأن المنطق هو آلة العقل ، حيث يرتكز العقل بجميع أدواته المعرفية على المنطق وقوانينه الضرورية ، وضمن هذا السياق تتبين العلاقة الوثيقة بين قانون الضرورة وعلم المنطق الرياضي ، وهذا بدوره يؤكد على أن قانون الضرورة هو قانون مطلق ، حيث إنّ قانون الضرورة يتضمن مجموعة الشروط المنطقية والضرورية لاستمرار ظاهرة معرفية أو وجودية معينة .

وبذلك يتضح بأن لقانون الضرورة أثراً منطقياً يمكن اكتشافه من خلال الترابط الوثيق القائم بين الشروط الضرورية لنشوء ظاهرة معرفية معينة وبين الشروط المنطقية التي أدت لتكون هذه الظاهرة المعرفية واستمرارها ضمن عالم

---

[7]_ باشلار ، غاستون : ابستمولوجيا نظرية المعرفة ، ت: درويش الحلوجي ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1998، ص 186 .

[8]_ نفادي ، د. السيد : السببية في العلم ، دار التنوير ، (د.م) ،(د.ت) ، ص 141 .

[9]_ موسى ، د. كريم : فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية ، دار الفارابي ، بيروت ، 2012، ص 20 .

[10]_ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ص 758 .

الوجود المعرفي وبالتالي : (يُولّد الوعي المعرفة ، ويُجيز الوعي إمكانية بناء نظير ما في العقل للمواصفات التنظيمية المخبوءة في قلب الدماغ)[11] .

ونستنتج مما تقدم بأن : بأن فيلسوف العلم الفرنسي بيير لابلاس قد أوضح بأن مفهوم الحتمية يمتلك بعداً إبستمولوجياً مطلقاً ، حيث أصبحت الحتمية عند لابلاس حتمية كونية ، كونها تُخضِع الكون بأكمله لقوانين الحتمية المطلقة التي يتم تطبيقها بشكل منطقي على جميع الظواهر المعرفية والوجودية في الكون القائم ، وبيّن لابلاس بأن قانون الحتمية المطلق يساعدنا على التنبؤ العلمي بالظواهر الوجودية والمعرفية وذلك وفقاً للروابط المنطقية القائمة بين الظواهر في الكون ، وبالاستناد على ذلك يرتبط الماضي بالحاضر والمستقبل وفقاً لقوانين مبدأ الحتمية المطلق كما أقره بيير لابلاس ، وضمن هذا السياق أوضح لابلاس بأن كلاً من عاملي الزمان والمكان يكتسب صفة الحتمية الكونية فيصبح عامل الزمان حتمياً وفق الماضي والحاضر والمستقبل ، وكذلك يصبح عامل المكان حتمياً وذلك وفق الشروط الحتمية الماضية والراهنة والمستقبلية ، وضمن هذا الإطار المعرفي بيّن لابلاس أن مبدأ الحتمية الكونية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمبدأ الضرورة وإن أهم سمة من سمات قانون الضرورة هو أنه قانون منطقي يجعل من الشروط الضرورية لنشوء أي ظاهرة معرفية ضمن الوجود العام شروطاً منطقية وحتمية ، وبذلك اكتسب مفهوم الحتمية عند لابلاس بعداً عقلياً شاملاً وذلك على الصعيدين المعرفي والإنطولوجي .

ثانياً : الترابط الإبستمولوجي بين مفهومي الحتمية والغائية

ارتبطت الحتمية الكونية عند بيير لابلاس بمجموعة من المبادئ الأساسية التي أقرها لابلاس في فلسفته العلمية ، ومن بين أهم هذه المبادئ : مبدأ الغائية ، حيث وضّح لابلاس بأن قانون الحتمية الكونية يرتبط بمبدأ الغائية وفق مجموعة من الروابط الضرورية والمنطقية ، فالحتمية الكونية كما أقرّها لابلاس تعتبر بمثابة قانون مطلق تنتظم وفقه الطبيعة بكاملها ، ومن جهة أخرى تسير الطبيعة بأكملها وفق مبدأ الغائية بشكل ضروري ومنطقي ، وهذا ما أكده أتباع المذهب الغائي الذين يقررون بأن لكل موجود في الطبيعة غاية محددة يتجه لتحقيقها وذلك وفق مجموعة من الشروط الحتمية المتعاقبة على حياة هذا الموجود ضمن بيئته الطبيعية ، وضمن هذا الإطار المعرفي يتضح بأنَّ : (مبدأ الغائية هو القول : أن كل موجود فهو يفعل لغاية ، وإن الغايات الجزئية في هذا العالم مرتبطة بغاية كلية ، وهذا المبدأ هو المبدأ الذي بني عليه إثبات وجود الله بالدليل الغائي ، لأنّك إذا قلت أنّ لكل موجود غاية ، وأن جميع الأشياء منظمّة ومرتّبة لغاية ، وجب عن ذلك ضرورة أنّ يكون هنالك موجود عاقل يوّجه الأشياء الطبيعية كلها إلى غايته ، وهذا الموجود العاقل هو الله). [12]

وبالدراسة التحليلية لمفهوم الغائية يتبين بأنَّ : جميع الظواهر العلمية والطبيعية يتم تفسيرها وفق مبدأ الغائية ، وذلك وفق مجموعة من الغايات التي تشكّل الهدف النهائي لهذه الظواهر العلمية والطبيعية ، فعلى المستوى المعرفي : تتجه جميع الظواهر المعرفية نحو غايات محددة يتم التوصل إليها بعد دراسة المشكلات العلمية التي تظهر في مجالات البحث العلمي المتنوعة ضمن ميادين البحث العلمي ، حيث تتم صياغة هذه الغايات النهائيات للظواهر المعرفية على هيئة قوانين معرفية ، يتم تطبيقها على جميع المعارف التي تتناسب مع هذه القوانين المعرفية ، وعلى المستوى الوجودي: تتجه جميع الظواهر الوجودية إلى غايات محددة ، يتم التوصل إليها من خلال الدراسة والتحليل الوجودي

1 _ داماسيو ، أنطونيو : الشعور بما يحدث ، ت: رفيف غدّار ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010، ص 32.

2 _ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ص 124 .

لهذه الظواهر الوجودية ، ومن بين أهم الظواهر الوجودية التي تخضع لمبدأ الغائية : الظواهر الإنسانية التي تسير وفق قوانين الغائية الإنسانية التي تتحدد وفق مقتضيات المجتمعات التي تتواجد فيها هذه الظواهر الإنسانية ، وكمحصّلة لذلك يتبين بأنّ سلوك الإنسان هو سلوك غائي بالضرورة حيث يتجه السلوك الإنساني وفق غايات محددة يرسمها ويخطط لها العقل الإنساني بحسب مقتضيات الحياة الإنسانية ضمن جميع المجالات الحياتية المرتبطة بحياة الإنسان ، وبالتالي : (فالنظر الغائي للعالم يتضمن الصور المختلفة من الغاية عامة . وتوجد غايات ثابتة ووسيلة ، كما أن الغاية الذاتية مجرد غاية متناهية وتابعة ، وهي بحاجة قصدية لوسيلتها . وهذه الغائية متناهية إلى هذا الحد . فالتناهي هو ، في المقام الأول ، في هذه العلاقة الخارجية للوسيلة ، للمادة . والغاية لا يمكن أن تقوم من دون هذه الوسائل التي هي بدورها لا تقوم من دون أن تكون عاجزة بالقياس إلى الغاية)[13].

ومن هذا المنطلق يتبين بأنَّ السلوك الإنساني الغائي والذي يتم توجيهه من قبل العقل الإنساني هو سلوك ضروري يرتبط بمجموعة من الشروط الضرورية التي يقرّها قانون الغائية ضمن مستوياته المتعددة ، وإن الطابع العقلي للسلوك الغائي عند الإنسان يؤثر بشكل مباشر على الواقع الموضوعي المحيط بالإنسان ، حيث يعمل الإنسان من خلال سلوكه الغائي على إعادة رسم هيكلية الوجود الموضوعي وفق الملكات العقلية الإنسانية التي توجّه هذا السلوك الإنساني الغائي من أجل تحقيق الغايات الإنسانية المقصودة ، وذلك يتضمن إحداث التغيير الشامل أيضاً على مستوى الوعي الإنساني وأدواته المعرفية المتنوعة مثل التفكير والملاحظة والاستنتاج والتحليل والنقد العقلي ، وهنا تتجلى السمة الإنسانية للمبدأ الغائي ، وبذلك يتبين بأنّ : (مرحلة الوعي بالذات هذه مرحلة جوهرية ، إنها الخاصية الأساسية ، لكنها ليست التحقيق التام لهذه العلاقة ، ومن ثم فالإنسان يكون لذاته غاية ذاتية ، ويكون وعيه حراً في الإله ، وهو يستمد شرعية وجوده من الإله ، وهو جوهري في ذاته ومتوجه نحو الإله ، ذلك هو الكلي ، وحينئذ فالأشكال الأكثر دقة هي الأديان الجزئية التي هي دين الجلال (الدين اليهودي) ودين الجمال (الدين اليوناني) ودين الغائية (الدين الروماني))[14] .

وعلى هذا الأساس يتضح بأن : العقل الإنساني بقدراته المعرفية المتنوعة يمتلك صفة الغائية ويعمل وفق مقتضى قانون الغائية ، فكل فعل عقلي من أفعال العقل الإنساني كالتفكير والوعي والنقد والتحليل يسير وفق مبدأ الغائية بهدف تحقيق الغايات المعرفية المقصودة ، فعند مواجهة أية إشكالية معرفية أو علمية ضمن ميدان البحث العلمي المتنوع يبادر الباحث العلمي إلى استخدام منهج علمي معين وتطبيق القدرات العقلية والقواعد المنهجية بهدف الوصول إلى حل هذه الإشكالية المعرفية وتجاوز جميع المشكلات العلمية التي تحِدّ من تطور المعرفة والتي تكون بمثابة عقبات في وجه المعرفة ، وبذلك يقدّم العقل العلمي الحلول المعرفية لأية إشكالية معرفية وفق غايات معرفية محددة ، ومطبّقاً بذلك قانون الغائية بصيغه العقلية الشاملة لجميع النواحي المعرفية ، وضمن هذا السياق المعرفي الغائي يتبين : (إنَّ للعقل دوراً مزدوجاً ، يعرّفنا إلى العلل والمعلولات ، ويقول لنا إذا كنا نختار وسائل ملائمة لبلوغ الغاية المقصودة ، لكن يلزم أيضاً أنّ تكون هناك غاية مقصودة)[15] .

---

[13] _ فريدريك ، هيجل : تكوينية الوعي الإنساني والديني ، ت: أبي يعرب المرزوقي ، دار كلمة ، الإمارات العربية المتحدة ، 2015، ص 220.

[14] _ المصدر السابق نفسه ، ص (229 – 230) .

[15] _ دولوز ، جيل : التجريبية والذاتية ، ت: أسامة الحاج ، دار المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 1999، ص 202 .

وتعدّ نظرية التطور التي وضعها عالم الأحياء الإنكليزي تشارلز دارون : بمثابة شرح تفصيلي لقانون الغائية وكيفية تطبيقه في عالم الطبيعة ، حيث يوضّح دارون بأن جميع الكائنات الحية الموجودة في عالم الطبيعة تتصارع فيما بينها بهدف الوصول إلى غاية محددة وهي البقاء على قيد الحياة ، حيث يتم الصراع فيما بينها على الغذاء والماء والسكن وعلى كل مقومات الحياة ، وإن الكائنات الحية الأقوى التي تنتصر في الصراع على الكائنات الأضعف ، تصل إلى غايتها المنشودة والمتجسّدة في البقاء على قيد الحياة ، حيث تتكيف الكائنات الحية المنتصرة مع شروط الحياة الطبيعية الجديدة من أجل الحفاظ على غايتها المقصودة بالبقاء على قيد الحياة ضمن عالم الطبيعة ، وضمن هذا السياق المعرفي يقول دارون في كتابه أصل الأنواع : (وبما أن عدد الذين يولدون من كل نوع هو أكبر من أن يعيش وبما أنه بالتالي ، هناك صراع يتكرر كثيراً من أجل البقاء ، فالذي يحدث بعد ذلك هو : لو أن أي كائن تمايز بأي قدر بسيط ، وبأي وسيلة مفيدة له ، تحت تأثير ظروف الحياة المعقدة والكثيرة التغيير فسوف تكون له فرصة أفضل للاستمرار في الحياة ، وبالتالي سوف يتم انتقاؤه طبيعياً وبناءً على المبدأ القوي للوراثة فإنّ أيَّ ضرب منتقى سيميل إلى الإكثار من شكله الجديد والمعدّل) [16] .

ونستنتج مما تقدّم بأنّه يوجد ترابط إبستمولوجي قائم بين مفهومي الحتمية والغائية ، حيث تبين من خلال الدراسة التحليلية للحتمية الكونية عند لابلاس بأن مبدأ الحتمية الكونية يرتكز على قانون الغائية بشكل ضروري ، حيث تسير معظم الظواهر الموجودة في الكون نحو غايات مقصودة ومحددة بشكل حتمي ، حيث يتضح بأن قانون الغائية يتم تطبيقه بشكل حتمي على مستويين ، المستوى الأول : هو المستوى المعرفي ، حيث تتجه جميع الظواهر المعرفية في الحقول المعرفية المتنوعة نحو غايات معرفية محددة تهدف إلى حل المشكلات المعرفية القائمة ، والمستوى الثاني : هو المستوى الإنطولوجي ،حيث تتجه معظم الظواهر الإنطولوجية في الطبيعة نحو غايات إنطولوجية محددة بشكل حتمي.

ثالثاً: المعنى الإبستمولوجي لمفهوم اللاحتمية

عملية التطور المعرفي للمفاهيم العلمية والإبستمولوجية هي عملية مستمرة في جميع ميادين العلم وفلسفته العلمية والمعرفية، حيث أدت عملية التطور المعرفي خلال تاريخ نظرية المعرفة الطويل إلى ولادة العديد من المفاهيم الإبستمولوجية والتي نتجَ عنها ولادة مفاهيم إبستمولوجية متناقضة معها معرفياً ، وضمن هذا السياق المعرفي برز مفهوم اللاحتمية الذي يعدّ بمثابة النقيض المعرفي لمفهوم الحتمية بشكل عام ولمفهوم الحتمية الكونية بشكل خاص الذي أقرّه عالم الفلك والفيزياء بيير لابلاس في نظريته حول الحتمية الكونية، حيث يوضّح أتباع المذهب اللاحتمي في المعرفة بأن مفهوم اللاحتمية يشير إلى أنّ ظواهر الكون بقسميها المعرفي والوجودي هي ظواهر لاحتمية وغير مقيّدة بمبدأ السببية ولا تخضع لعملية الترابط السببي بين الأسباب والنتائج ، وإن ظواهر الكون ووقائع العالم الموضوعي والمعرفي تنشأ بشكل عشوائي من دون وجود علل واضحة ومحددة تؤدي إلى نشوئها ، وبذلك يشير مفهوم اللاحتمية إلى أن الظواهر المعرفية والوجودية لا تخضع لقانون الحتمية المطلق بل تسير وفق عشوائية غير منتظمة ولا تخضع لقوانين ثابتة معرفياً ومحددة علمياً ، ويقوم المذهب اللاحتمي على اعتبار أن المعرفة العلمية لا تخضع لنظام ثابت وموحد على مستوى جميع الحقول المعرفية والعلمية ، كما ويلغي أتباع المذهب اللاحتمي مبدأ التنبؤ العلمي المرتبط بقانون السببية المطلق ، وبالتالي يتبين بأنهُ : (لا شك في أهمية إرباك الفوضى للأحكام المسبقة القديمة ، وإظهاره

[16] _ دارون ، تشارلز : أصل الأنواع ، ت: مجدي المليجي ، تقديم : سمير صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 ، ص 58 .

حدود الحتمية الفيزيائية ، وحمله إيانا على تحديد تصورنا للتصادف) [17] ، وبذلك يتبين ضمن هذا السياق المعرفي : بأن مفهوم اللاحتمية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الفوضى ، حيث يقرر أتباع مذهب اللاحتمية بأن ظواهر الكون تخضع لفوضى عشوائية وغير منتظمة ، ويؤكد أتباع نظرية اللاحتمية بأنه لا توجد قوانين وأنظمة تحدد عملية التفسير العلمي لظواهر الكون المعرفية والوجودية .

وعند هذه النقطة تبرز إشكالية العلاقة بين نظرية المعرفة الموضوعية ونظرية المعرفة الذاتية ، حيث ترتبط هذه الإشكالية السابقة بإشكالية العلاقة بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، حيث يقرر أتباع النظرية الموضوعية في المعرفة بأن موضوعية المعرفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحتمية المعرفة ، حيث يقررون بأن حتمية المعرفة هي إحدى التطبيقات العلمية لمبدأ الموضوعية العلمية ، حيث يعد أتباع النظرية الموضوعية في المعرفة بأن المعرفة الموضوعية هي معرفة تعد بأن الكون يسير وفق قوانين موضوعية حتمية ثابتة ومطلقة وإنه يمكن التنبؤ علمياً بالنتائج العلمية لأية ظاهرة علمية إذا تمت دراستها بشكل موضوعي ، لأن الأسباب الموضوعية التي تنشأ عنها أي ظاهرة علمية ترتبط بالنتائج العلمية لهذه الظاهرة وفق القوانين الموضوعية التي تخضع لها هذه الظاهرة العلمية ، ومن جانب آخر يقرر أتباع نظرية المعرفة الذاتية بأن المعرفة بمفهومها الذاتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم اللاحتمية ، حيث يقرر أتباع المذهب الذاتي بأن المعرفة لاحتمية وغير ثابتة ، لأنها معرفة متغيرة ولا تخضع لقوانين موضوعية ثابتة ، بل تخضع المعرفة الذاتية وفق وجهة نظر الفلاسفة اللاحتميين لعشوائية غير منتظمة ، وبالتالي يقرر أصحاب المذهب اللاحتمي بأن الظواهر العلمية أيضاً تخضع لفوضى معرفية لا يمكن معرفة أسبابها ونتائجها بالمجمل ، وبالتالي : (يمكن إذاً ، أن نعتبر الطابع اللاحتمي لنظرية ما ناتجاً من طابعها الذاتوي ، ولكن الذاتوية تستلزم اللاحتمية الأساسية ، واللاحتمية الأساسية تستلزم الذاتوية ، مثلما أن الموضوعية تستلزم الحتمية ، والحتمية تستلزم الموضوعية) [18] .

وضمن هذا الإطار المعرفي تبرز فكرة الفوضى المعرفية التي يعدها أصحاب المذهب اللاحتمي بأنها إحدى التطبيقات العملية لمبدأ اللاحتمية ، حيث يقرر الفلاسفة اللاحتميون بأن عملية الفوضى المعرفية هي العملية الأساسية والموجّهة للتطور والتقدم العلمي ، وبالتالي يتبين بأنه : (وإذا كان الأمر على هذا الحال ، فإن تاريخ العلم سوف يكون معقداً ومضطرباً) [19] ، ومن هذا المنطلق المعرفي يلغي فلاسفة العلم اللاحتميون خاصية التنبؤ العلمي ويقررون بأنه لا يمكن التنبؤ علمياً بالظواهر العلمية والمعرفية لأن الظواهر المعرفية لا تخضع بالأصل لقوانين ثابتة ، وبالتالي لا يتمكن الباحث العلمي من التنبؤ بهذه الظواهر العلمية ، وبذلك يتبين من خلال التحليل الإبستمولوجي لنظرية المعرفة اللاحتمية بأنَّ : (النظريات العلمية هي بمنزلة طرائق للنظر إلى العالم) [20] .

ونستنتج مما تقدم : بأن مبدأ اللاحتمية شكّل أحد أهم المفاهيم الإبستمولوجية التي لعبت دوراً هاماً في تطوير ميدان البحث الإبستمولوجي ، حيث يشير المعنى الإبستمولوجي لمبدأ اللاحتمية إلى أن المعرفة تخضع لفوضى عشوائية لا يمكن التحكم بها ، ولا يمكن معرفة مسارها مطلقاً ، لأن ظواهر الكون هي ظواهر ذات منشأ عشوائي غير محدد وغير معروف ، حيث أشارت اللاحتمية إلى أنه لا وجود لقوانين ثابتة ومنتظمة ، وبالتالي لا يمكن التنبؤ علمياً بأية ظاهرة

17 _ لورسا ، فرانسوا : علم الفوضى ، ت : زينا مغربل ، دار مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض ، 2014 م ، ص ١٢٢.

18 _ الجابري ، محمد : مدخل إلى فلسفة العلوم ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص (٤٠٩ _ ٤١٠) .

19_feyerabend , paul : against method , outline of an anarchistic theory of knowledge , london , 1978 ,p : 19.

20_ feyerabend, paul : problems of empiricism in beyond the edge of certainty , colodny , published eoglewood clifts , newgersey , 1965 , p: 29.

معرفية أو وجودية ، بسبب عدم وجود قوانين واضحة وثابتة لهذه الظواهر العلمية والوجودية ، وبالتالي امتلك مفهوم اللاحتمية بعداً إبستمولوجياً ، بحيث أكسب ظواهر العلم وفلسفته العلمية الكثير من التعقيد بسبب عدم إمكانية معرفة الأسباب والنتائج العلمية التي تخضع لها الظواهر القائمة في عالم المعرفة ، وهذا بدوره أدى إلى التأكيد على أن ميدان فلسفة العلم هو ميدان معرفي متطور بإستمرار .

الخاتمة ونتائج البحث :

تناول هذا البحث موضوع (إشكالية المعرفة بين الحتمية واللاحتمية (بيير لابلاس أنموذجاً)) بالدراسة الفلسفية والعلمية والنقد الابستمولوجي، والتحليل الإبستمولوجي للإشكالية المعرفية القائمة بين مفهومي الحتمية واللاحتمية ، والبحث المعرفي عن المضمون الابستمولوجي لمفهومي الحتمية واللاحتمية ، حيث تمّ التركيز على دراسة أهمية المفهوم الإبستمولوجي للحتمية عند بيير لابلاس ، كما وتمّ التركيز على دراسة الترابط الإبستمولوجي بين مفهومي الحتمية والغائية ، كما وتمّ دراسة وتحليل المعنى الإبستمولوجي لمفهوم اللاحتمية ودلالاته المعرفية والعلمية المتعددة .

وإن أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها في هذا البحث : هو أنّ مفهوم الحتمية عند عالم الفلك والفيزياء الفرنسي بيير لابلاس قد اتخذ طابعاً كونياً مطلقاً ، حيث أطلق لابلاس على مذهبه في الحتمية : تسمية (الحتمية الكونية) ، وأشار لابلاس من خلال مذهبه في الحتمية الكونية بأن الكون بأكمله يخضع لقانون الحتمية المطلق ، حيث تخضع جميع الظواهر المعرفية والإنطولوجية في هذا الكون الواسع لمبدأ الحتمية وقوانينها المطلقة ، وقرر لابلاس بأن الخضوع لمبدأ الحتمية الكونية يتيح إمكانية التنبؤ العلمي بظواهر الكون ، وأوضح لابلاس بأن مفهوم الحتمية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الضرورة العلمية ، حيث يعد لابلاس بأن قانون الضرورة يفسّر الوقائع العلمية والمعرفية بأنها وقائع تسير وفق قوانين ضرورية بحيث ترتبط نتائجها بمجموعة من الأسباب الضرورية ، ونتيجة لهذا الترابط الإبستمولوجي والضروري بين أسباب الظواهر العلمية ونتائجها العلمية ، فإنه يمكن التنبؤ علمياً بالنتائج العلمية لأية ظاهرة فق مجموعات المعطيات العلمية التي أدت إلى نشوئها .

وتبين أيضاً من خلال الدراسة التحليلية والنقدية لإشكالية المعرفة بين الحتمية واللاحتمية ، بأن : مفهوم الحتمية الكونية عند لابلاس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الغائية ، حيث أوضح لابلاس بأن جميع ظواهر الكون المعرفية والوجودية تتجه بشكل غائي وحتمي نحو هدف غائي محدد وفق الأسباب الحتمية التي أدت لنشوء هذه الظواهر ، وبذلك يخضع الكون بأكمله بحسب لابلاس لغائية ذات أساس حتمي مطلق .

كما وتمّ التوصل إلى استنتاج مفاده بأنّ : مفهوم اللاحتمية هو النقيض المعرفي لمفهوم الحتمية الكونية عند لابلاس ، حيث تشير اللاحتمية إلى أن الكون يخضع لفوضى مطلقة لا يمكن معرفة أسسها ومبادئها ، كما ويرفض أصحاب المذهب اللاحتمي خاصية التنبؤ العلمي ، كما ويرفضون فكرة التعميم العلمي التي يطبقها العلماء الحتميون على الظواهر العلمية المتشابهة في الأسباب والنتائج العلمية من خلال القوانين الموضوعية والعلمية التي تحكم هذه الظواهر العلمي .

المصادر والمراجع :

1 _ الجابري ، محمد : مدخل إلى فلسفة العلوم ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ١٩٩٤ .

2 _ باشلار ، غاستون : ابستمولوجيا نظرية المعرفة ، ت: درويش الحلوجي ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1998 .

3 _ دارون ، تشارلز : أصل الأنواع ، ت: مجدي المليجي ، تقديم : سمير صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 .

4 _ دولوز ، جيل : التجريبية والذاتية ، ت: أسامة الحاج ، دار المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 1999 .

5 _ داماسيو ، أنطونيو : الشعور بما يحدث ، ت: رفيف غدّار ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010 .

6 _ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 .

7 _ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 .

8 _ فريدريك ، هيجل : تكوينية الوعي الإنساني والديني ، ت: أبي يعرب المرزوقي ، دار كلمة ، الإمارات العربية المتحدة ، 2015 .

9_ قنصوه ، صلاح : فلسفة العلم ، مكتبة الأسرة ، (د، م) ، 2002 .

10_ كارناب، رودولف: الأسس الفلسفية للفيزياء، ترجمة: د. السيد نفادي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، 2003 .

11_ لورسا ، فرانسوا : علم الفوضى ، ت : زينا مغربل ، دار مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض ، 2014 م .

12 _ موسى ، د. كريم : فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية ، دار الفارابي ، بيروت ، 2012 .

13_ نفادي ، د. السيد : السببية في العلم ، دار التنوير ، (د.م) ،(د.ت) .

14_ LAPLACE , PIERRE : A PHILOSOPHICAL ESSAY PROBABYLNTIVES , TRANSLATED FROM THE SIXTH FRENCH EDITION BY FREDERICK WILSON TRUSCOTT, AND FREDERICK LINCOLN EMORY , STANFORD UNIVERSITY LIBRARIES REFORMATTING SECTION , LONDON ,1993 . ،

15_ feyerabend , paul : against method , outline of an anarchistic theory of knowledge , london , 1978 .

16_ feyerabend, paul : problems of empiricism in beyond the edge of certainty , colodny , published eoglewood clifts , newgersey , 1965 .